

تاريخهم من لغتهم

أطلنطة

عبدالحق فاضل

هذا جانب من وصف ذلك (الطوفان) المدمر
الذى اغرق البشرية ، كالذى جاء فى ملحمة
قلقميش (1)

والشطران الموضوعان بين قوسين (...) هما
من اضافاتي لشرح المعنى الذى كان معروفا لدى
القاريء البابلي الذى له نظمت الملحمة فلم يجد
مؤلفها ضرورة لايضاحه . والذى يهمنى هنا ، فى
هذا الحديث الغريب موضوعا والعجيب نتيجة ، هو
(ايراقال) الذى يرد اسمه فى المصادر الانكليزية
(Irragal) ، وهو عند البابليين . الاله مياه العالم
السفلى التى تحبها دعائم او اعمدة ، وكأنهم كانوا
يتصورونها مثل دعائم السدود والخزانات تقام لحبس
مياه السيول والانهار . وكان اقدام هذا الاله
السفلى الشربير على قاع تلك الاعمدة هو تفسير زيادة
مياه الانهار عندهم وارتفاعها عن المستوى المعقول
احيانا ، ايام الفيضان كل عام . وكثيرا ما كان انفتاح
السدود يفرق القرى والزرع كما شهدنا مرارا فى
الثلاثينيات والاربعينيات ، قبل بناء السدود المهمة
الاخيرة التى اجتمت واسرجت دجلة والفرات ايام

فحين لاحت للبصر
اولى طلائع السحر
انبعثت من اصل افق السماء
غمامة سوداء
فى جوفها يلعلع الرب « ادد »
يسعى امام فيه « خانيش » و « شولات »
ليندرا بين يديه فى السهول والجبال
واقطلع الدعائم الاله « ايراقال »
(فانهاى ماء العالم السفلى)
وجاء بعده « نرتسا »
(رب الوغى ، بعزمه القوي)
وفتق السدود ...
وزمجرت
عواصف الجنوب ، يوما اكملنا
احتدمت
حتى طفى هبوبها العاتي فغطى الاجيلا
فتك فتكا بالنفوسى
هوجاء كالحرب الضروسي !
ولم يعد اخ يرى اخاه ..

... الخ

(1) ملحمة شعرية بابلية ، سبق التنويه بها فى حاشية موضوع « عشتار » فى العدد الماضى .
ولكاتب السطور كتاب عنوانه « هو الذى رأى » يتضمن ترجمة شعرية للملحمة تتقدمها دراسة
عنها .

هياجهما . وما دامت دعائم السدود الفوقية هذه قوية محكمة لم يعد يهنا اقتلاع دعائم المياه السفلية التي تسبب فوران الانهار .

ويبدو ان وليمي بمقارنة الالفاظ وتمحيص معانيها واستعراض متشابهاتها قد ابتلاني بحساسية خاصة لا شعورية في بعض الالفاظ ، فما سمعت عيني كلمة (ايراقال) ، اعني ما وقعت عليها عيني وتحسنتها اذني ، حتى قفز الى ذهني اسم هرقل (Herakles) بالاغريقية و Hercules باللاتينية) . لكنني في العادة سرعان ما انبذ الاهتمام بالتشابه اذا لم اجد صلة معنوية تربط بين اللفظين . اما الشبه بين (ايراقال) و (هرقل) فلم استطع ان انبذه بهذه السهولة لان شيئا آخر قفز معه الى ذهني هو « اعمدة هرقل » Pillars of Hercules بالانكليزية و Hercules columnae باللاتينية) .

واذا لاحظنا ان اقدم اسماء هرقل على اختلاف صورها في اللغات الاوربية هو الاسم الاغريقي (هراكلس Herakles) الشبيه جدا باسم (ايراقال Irragal) البابلي لم يسعنا الا ان نتساءل جادين : هل اعمدة هرقل هي نفسها اعمدة ايراقال ، او هل هي مقتبسة منها ؟ هل هي اعمدة مائية ؟

ان اعمدة هرقل ليس لها تعريف واضح محدد، وانما يطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في المحيط الاطلسي بالقرب من جبل طارق . ويطلقها بعضهم على جزيرتين او اكثر في البحر المتوسط بالقرب من جبل طارق ايضا . ولا يدري احد سبب هذه التسمية .

ثم قفزت الى خاطري مسألة اخرى . كنت قرأت في كتاب عربي ان هذا المضيق كان يقوم عليه جسر بأعمدة يعبر عليه الناس والدواب !

ومسألة رابعة . لنترك المسألة الرابعة الآن، لكي نعود اليها حين يجيء دورها في تفسير غرق (اطلنطة) الذي تجرنا اليه ذكرى الطوفان البابلي .

اطلنطة (Atlantis او Atlantica) - قارة او جزيرة اسطورية كانت في المحيط الاطلسي ، كالذي رواه افلاطون نقلا عن بعض قدامى الكتاب . وخلاصة المعروف عنها ان كهنة مضربين تحدثوا الى (صولون) عن تاريخ غابر لامته فقالوا له ان اعظم

مآثر اثينة قاطبة هو دجرها لجزيرة اطلنطة التي يجدون في مدونات لهم قديمة ، انها كانت قبل تسعة آلاف عام - من ذلك العهد - دولة عظيمة تقع قبالة اعمدة هرقل ، ويربو امتدادها على مجموع ليبيا وآسيا الصغرى . وقد كانت ممرا الى جزر اخرى وقارة اخرى ، وكان البحر المتوسط مجرد ميناء لها . وتعتمد امبراطورية اطلنطة من الاعمدة حتى مصر وتيرهنيا (Tyrrhenia) . ويقول الكهنة المصريون « ان هذه الدولة القوية كانت قد عبأت قواتها ضد مصر وهيلاس (Hellas) - اليونان - وجميع الاقطار المحاذية على البحر المتوسط . وعندئذ دحرتها مدينتك بشجاعة ، فدامت شهرتها في الارض قاطبة . فقد قامت، معرضة حتى وجودها للهلاك وقد تخلى عنها الهيلانيون الآخرون ، بصد الغير فوهبت الحرية عن طواعية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة . وبعد ذلك بقليل حدث زلزال عظيم ففاز كل قومك الصناديد في الارض واختفت جزيرة اطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الضاحض التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الاطلسي » .

وتقول المعلمة البريطانية - ط 9 - عام 1875 ! - التي استقيننا منها هذه المعلومات ان هذي هي المادة الاساسية لحكاية الجزيرة كما رواها القدامى، وهي حكاية ان لم تكن خيالية بجملتها فهي تعود الى اشد اصقاع التاريخ غموضا . ولعل القصة تجسد اسطورة شعبية ، ولعل الاسطورة قائمة على ظروف تاريخية معينة ، اما ماذا كانت هذه (الظروف) فمن المتعذر البت فيه الآن » .

لكننا نستبعد القول بانها اسطورة شعبية لان الاغريق الذين تخصص الحكاية احرياء عندئذ ان يكونوا قد سمعوا بها خلال ذلك العهد المتناول . هذا الى ان الكهنة الذين رووها قالوا انها من مدوناتهم ، لا من الاساطير المتداولة . ويصدق قول المعلمة فقط اذا قلنا ان تلك المدونات القديمة نفسها تعتمد على اسطورة شعبية .

اما طبعة عام 1960 - الحديثة - من المعلمة البريطانية فتشكك في صدق افلاطون نفسه حيث تقول « ويتمذر البت الى اي مدى تعتمد هذه الاسطورة على اختراع افلاطون والى اي حد تقوم على وقائع لم يبق تسجيل عنها » .

« المحيط الاطلسي » من جهة وانها « تمتد من اعمدة هرقل حتى مصر » من جهة اخرى . فكيف نوفق بين هاتين القائلتين ؟ كذلك سبق ان امتدادها « يربو على مجموع ليبيا وآسية الصغرى » .. فما الداعي الى مقارنة اطلنطة بهاتين الرقعتين الكبيرتين من الارض فى شرقي البحر المتوسط وهي واقعة فى المحيط الاطلسي ؟

كذلك غرق الاثينيين - فى البحر المتوسط طبعاً - لا يتفق مع اسم اطلنطة الذى هو اقرب الى اسم المحيط الاطلنطي او الاطلسي منه الى اسم اي بحر آخر .

ثم ما معنى قول الرهبان المصريين ان ائينة بدحرها جيوش اطلنطة « وهبت الحرية لجميع الامم الواقعة ضمن الاعمدة » ؟ فهل كانت هناك اعمدة لهرقل تحيط بالقطر الاثيني وعدد آخر - يبدو انه عدد كبير - من الاقطار ؟ .

هنا يأتي دور الحقيقة الرابعة التي خطرت لي مع اعمدة هرقل وكان نصيبها الارجاء حتى الآن .

يقول الجغرافيون ان البحر الابيض المتوسط كان ارضاً يابسة تصب فيها الانهار من اوربة وافريقية اللتين كانتا من ثم متصلتين وان جبل طارق كان يمتد بينهما فى أقصى الغرب منهما كالجسر ، أو بالحري انه كان يقوم بوجه مياه المحيط الاطلسي كالسد . ثم حدثت تقلبات ارضانية من الزلازل فانفتق الجبل وانقسم ، فتدفقت مياه المحيط الاطلنطي من ذلك الخرق العظيم الذى نسميه الآن مضيق جبل طارق فأغرق ارضاً شاسعة هي التى تسمى الآن بالبحر الابيض المتوسط .. فانفتقت القارتان اللتان كانتا رتقاً .

واذن فان كان لاسطورة اطلنطة نصيب من الصحة فلا بد انها كانت فى منطقة هذا البحر الابيض المتوسط ، لا فى المحيط الاطلسي .

وتشابه العقائد بين شعوب العالم القديم فى كثير من الكليات وبعض الجزئيات ، مثل عبادة الشمس والنجوم والظواهر الطبيعية .. يدل على أن عقيدة الاعمدة التى تحجز المياه ويحكمها الاله ، قد كانت شائعة أيضاً منذ ذلك العهد السحيق يفسرون بها

والطبعة القديمة - الأنفة الذكر - اقرب الى الانصاف والمنطق حين تعزو الشك فى صدق الاسطورة الى تقادم العهد وطبيعة المأثورات الشعبية بدلا من اتهام افلاطون باختلاق الرواية من اساسها .

ومهما يكن فقد اثارت المسألة مجادلات طويلة فكذبها قوم لهم وزنهم وصدقها قوم لهم وزنهم . لكن كاتب المادة فى هذه الطبعة الحديثة من المعلمة اميل الى التكذيب حيث يقول كالمستنكر حتى فى القرنين السابع عشر والثامن عشر كان صدق الاسطورة يناقش فى جد ، وفى تصديق أحيانا حتى من قبل مونتايين (Montaigne) وبفون (Buffon) وفولتير (Voltaire) !

ومما اضعف الحكاية واوهى حجتها كثرة الاساطير الشبيهة بها - والمنشقة منها فيما نخال - منذ اودية هوميروس التى وردت فيها قصة شبيهة عن جزيرة الفاياقيين (Phaeacians) . وقد اهتم الباحثون بعد عصر النهضة بتحقيق اسطورة اطلنطة ، وقال بعضهم انها امريكة ، وآخرون اسكندناوية ، أو الكناري .. وقال بعضهم انها فلسطين !

وارتأى بعض الاعراقيين (1) أن اخلاف أولئك الاطلنطيين المفرقين هم الباسكيون أو قدامى الايطاليين أو غيرهم .

لقد انكر الكثيرون وجود اطلنطة لكن احدا من المنكرين لم يستطع أن يدعم انكاره ببرهان مقبول . وقد أيد الكثيرون صحة وجودها لكن احدا منهم لم يتمكن من اثبات تأييده بدليل معقول . فهل فى وسع اللغة ان تساعفنا ولو ببصيص من النور فى هذه المتاهة المظلمة ؟

ارشدتنا اللغة الى الشبه بين اسم هرقل وايراقال ، والى دعائم هذا وأعمدة ذلك . وقد جرنا الطوفان الذى احده قلع اعمدة ايراقال وأغرق البشر فى العراق الى ذكرى تلك الجزيرة أو القارة التى اغرقها الزلزال فى المحيط الاطلسي . فهل لهرقل علاقة ما باغراق اطلنطة ؟ هل قلع هو الآخر دعائمه فاهلك تلك الامبراطورية المتجبرة ؟

ان اسطورة اطلنطة هذه تفرقنا بدورها فى بحر من الغموض والمتناقضات . فقد سلف انها تقع فى

(1) تقصد بهم علماء الاجناس او الاعراق البشرية « ethnologists » ونقترح لعلم الاعراق البشرية « ethnology » مصطلح « الاعراقيات » على غرار الارضانيات لعلم « الجيولوجية » .

فيضان الأنهار . واذن فهذا الجبل المتقسم هو المقصود بأعمدة هرقل ، لا الجزر القريبة منه شرقا أو غربا . واذن فالإله هرقل هو المجرم الذي قلع أعمدة مياهه فأغرق اطلنطة وبعض المناطق المحيطة بها مثلما كان إيراقل يرتكب جريمة قلع أعمدة المياه السفلية في الرافدانية كل عام فيحدث الفيضان الذي يتقونه بالسدود الكثيرة المنتظمة ، إلا إذا فتق الإله الحرب (نرتا) بعض السدود فيفترق الأراضي الفيحية أحيانا ، وذات مرة بالإضافة إلى تفتيقه السدود أغدق الإله (أدد) مياه العالم العلوي أيضا فحدث الطوفان الأكبر الذي أغرق العالم كله وأهلك الحرث والنسل .

كان هرقل الإله عند الإغريق ، أبوه جوبيتر ، وأمه (ألكمينا Alcmena) . وكان اسم (هرقل) يطلق كذلك على بطل إغريقي أنجز اثنتي عشر فعلة يتعذر إنجازها على البشر العادي . لكن المعلمة البريطانية - ط 1960 - تقول أن هرقل ، أشهر أبطال الإغريق ، لا يمكن أن يكون الإله في الأصل لأن اسمه الإغريقي (Herakles) ربما كان يعني « العطية المجيدة من إلهيرة (Hera) » ، لأنه لم يكن للإغريق قط إله يتركب اسمه من اسم إله آخر . « فلعل رجلا حقيقيا ، أو رئيسا .. يكمن وراء أسطورة هرقل البالغة التعقيد » - (مادة Hercules) .

بعد الذي رأينا لا نستطيع أن نطمئن إلى صحة هذا التأثيل القائم على تجزئة الاسم لمجرد الشبه اللفظي الذي وجوده بين اسم إلهيرة والتصف الأول من اسم هيراكلس - بالرغم من علمهم بمخالفة هذا التأثيل لطريقة الإغريق في تسمية آلهتهم . بل يقلب على الظن أن الاسم منقول بتمامه من اسم (إيراقل) أو من اسم آخر كان أثلا لكليهما .

وشبهه بهذه التسمية المنقولة اسم (لاتو Lato) أم ديانة وأبولو ، اللذين أنجبتهما من جوبيتر أيضا .

وهو نفسه بدون تحريف أو تحوير ، اسم اللات باللغة البابشورية (1) . ويسمى اللاتين (لاتونا Latona) أيضا . ومن فرط افتتانهم باللات وتقديسهم إياها سموا من باب التبرك والتشريف على ما يظهر - ولديها من جوبيتر هذين باسمين مشتقين من اسمها بالإضافة إلى اسميهما الأصليين ، وهما (لاتيوس Latioius) : أبولو ، و (لاتوية Latoia) أو (لاتوية العذراء Latoia virgo) : ديانة (2) .

فهذا الذي تقدم هو الذي يبرر لنا إلى حد ما أننا رجحنا كون اسم (هيراكلس) مقتبسا بكامله ، غير مجزأ . أطلقه الإغريق على إله الدعائم المائية أولا ثم على البطل الإنسان ، الإغريقي المشهور .. لا كما ذهب إليه كاتب المعلمة البريطانية من أن « شخصا حقيقيا أو رئيسا .. يكمن وراء أسطورة هرقل البالغة التعقيد » .. التي زادها ذلك التأثيل الخاطيء من اسم إلهيرة تعقيدا . وتسمية الأشخاص البشر بأسماء الآلهة مألوفة منذ القدم ، منها تسمية بعض الملوك الرافدانيين نستشهد منهم بالآلهين اللذين مر ذكرهما في إطلاق بلاء الطوفان وهما (أدد Adad) : إله الزوابع والريود والأمطار ، و (نورتا Ninurta) : إله الحرب .

أما التناقضات التي مر حديثها عن موقع اطلنطة فتنحل مشكلتها بمجرد قولنا أنها كانت في البحر المتوسط ، لا في المحيط الأطلسي كما توهم الأقدمون الذين خدعتهم مشابهة اسم هذا المحيط لاسم تلك لجزيرة . والذي يهدينا إليه التأثيل أن أسماء اطلنطس (Atlantis) واطلنطيقا (Atlantica) والمحيط الأطلنطي (Atlantic) ترجع إلى أثل واحد هو الصحيح الصريح وتعني (أطلس) ، وهو اسم عربي خالص يدل على قدم اكتمال اللغة العربية وسعة امداء انتشارها في ربوع العالم القديم .

- (1) اللغتان البابلية والآشورية متقاربتان لأن الشعبين بطنان من قبيل واحد . وحين استولى الآشوريون على بابل اتخذوا اللغة البابلية الفصحى - أي الرسمية - لغتهم الرسمية والثقافية ، وتكونت على مر الزمن لغة قوامها مزاج من اللغتين يسميها علماء الرافدانيات اللغة « البابلية الآشورية » . ونقترح ادماج الاسمين اختصارا في اسم واحد هو (البابشورية Babissyrian) .
- (2) ويحتمل بالإضافة إلى ذلك أن يكون اسم « لاتو » أو أحد مشتقاته أثل كل من « لاتيوم Latium » أي الموقع الذي تقوم عليه مدينة روما ، و « لامينيوم Latinium » أي اللاتيني (اللاتينية) .

والأطلس (Atlas) اسم أطلقه الإغريق على الإله يسند الأعمدة الباسقة التي تستبقي الأرض والسماء منفصلتين ، ثم مسخه الإله (بيرسوس Perseus) جبلا صخريا عقابا له على سوء استقباله . لكن الذي نخمنه أن العكس هو الصواب أي أن الاسم كان يطلق أولا على جبل أطلس ثم مسخته الأسطورة الأما . . على عادة الأساطير مع الجبال الأخرى والانهار والأبصار والأشجار والأحجار . وامتداد جبل أطلس حتى المحيط الأطلسي هو الذي جعل هذا المحيط يسمى أولا « البحر الأطلسي » ثم « المحيط الأطلسي » ، نسبة إلى الجزء العربي الأخير ، المجاور للمحيط ، من هذه لسلسلة الجبلية الطويلة .

وهذا أيضا يؤيد أن أطلنطة كانت في البحر المتوسط لأن جبال أطلس موازية ومحاذية له ، فمن المعقول عندئذ أن تسمى هذه الجبال باسمها . وهو من جهة يفسر قول أولئك الكهنة أن امبراطورية أطلنطة كانت تمتد من الأعمدة حتى مصر وببرهنية ، ويوحى إلينا من جهة أخرى أن أرض أطلنطة ربما كانت تتضمن هذه السلسلة من الجبال أي أنها لم تفرق كلها طبقا لحدودها السياسية بل غرق الجزء المنخفض الأهم المأهول أو المزدحم بالسكان منها ومن بعض الأقطار المجاورة لها ، فقالت الأسطورة أنها غرقت كلها ، كما أن الفيضان البابلي أغرق جزءا كبيرا من جنوبي العراق . فقالت أسطورتهم أنها أغرقت العالم كله . فعلى هذا ربما يمكن القول أن بعض أراضي المغرب العربي الكبير - من ليبية إلى المحيط - كان جزءا من امبراطورية أطلنطة

ويذكر القاريء أن الكهنة قالوا لصولون أنه بعد حدوث الزلزال العظيم « غار كل قومك الصناديد في الأرض ، واختفت جزيرة أطلنطة كذلك في البحر . وهذا هو تفسير الضحاح التي توجد في ذلك الجزء من المحيط الأطلنطي » .

إن النصف الأول من هذه العبارة يؤيد كذلك كون أطلنطة في البحر المتوسط لأن قوم صولون الصناديد فيه تقع بلادهم . وأما تلك الضحاح « في ذلك الجزء من المحيط الأطلنطي » فلا نعرف المكان المقصود به لكننا واثقون أن أمم هذا المحيط مقحمة هنا في غير موضعه بسبب مشابهة الاسم التي ضللت الرواة منذ قديم الزمان . غير أنه يمكن تطبيق الضحاح على بحر ابجة الذي يكتنف أرض اليونان وعلى الأرخيبيل بوجه عام .

ومما يستأهل الذكر هنا أن الباحثين المحدثين قد وجدوا بقايا من طمي دلتة النيل في ذلك الأرخيبيل قرب اليونان ما ينبيء أن هذا النهر كان ينصب هناك ذات زمان ، أي أن أرض مصر كانت تمتد حتى الأرخيبيل الأيحي قبل الفرق . وذلك تأييد أي تأييد لقول الكهنة العلماء أن أطلنطة كانت قد عبات قواتها ضد مصر وهيلاس ، لأن امتداد الأرض المصرية حتى السواحل اليونانية يعني طبعا أنهما كانتا متجاورتين .

وقد تساءلنا آنفا عن معنى كلام الكهنة عن تحرر جميع الأمم الواقعة « ضمن الأعمدة » ، الذي يوهم ظاهره أن هناك أعمدة كانت تحيط بعدد غير قليل من الأقطار . فالآن نجيبنا حقيقة انفتاح جبل طارق عن تسؤلنا . فالمقصود هو جميع الأقطار التي تقع ضمن المنطقة التي أغرقها اقتلاع الأعمدة ، أو البحر الذي لا منفذ له إلى المحيط الأطلنطي غير تلك الأعمدة التي انقثمت وزالت وبقي اسمها يطلق على مكانها .

وأما نعت أطلنطة بالقارة تارة وبالجزيرة طورا من قبل الكهنة أنفسهم فالظاهر أنها تسمية متأخرة . سميت قارة تعبيرا عن اتساع رقعتها ، وسميت جزيرة على اعتبار أنها كانت في المحيط الأطلسي .

لكن العجب العجيب هو شأن أولئك الباحثين الذين شخصوا الأرض المرفقة بأمريكة واسكندناوية والكناري وفلسطين ، بعد عصر النهضة . ولم تذكر المعلمة حجة كل منهم . لكن هذه أراض موجودة لا مفقودة ، ويجوز أن يقال أن زلزالا قد أبرزها من البحر لا أن يقال أن زلزالا قد أغرقها في البحر .

وأما قول القائلين أن جسرا كان يقوم على مضيق جبل طارق فوهم صراح ، لأن العالم المتحضر لم يستطع حتى اليوم أن يقيم جسرا على مثل هذا المضيق البحري العريض .

لكن هذا الوهم قد سببه فيما يظهر أن بعضهم صار يسمى المضيق نفسه « أعمدة هرقل » فأول ما يخطر على بال سامع هذه التسمية هي دعائم الجسر ، فخالوا أن جسرا كان وزال . وحين يكون جسر يعبر الناس ، والدواب أيضا .

ونعود إلى قول الكهنة أن تاريخ أطلنطة يرجع إلى تسعة آلاف عام قبل عهد صولون ، فهذا لا نشك فيه لأن الحضارات وتأسيس الامبراطوريات الضخمة والجيش المعبأ المنظمة الجسارة لم تكن قد ظهرت في ذلك التاريخ البعيد . ولا نستطيع نحن تحديد تاريخ

ولو تقريبي ، لاننا لا نعرف متى وقع الزلزال الوخيم .
وانما هم الارضانيون الذين يسعهم ان يفثونا فسي
معرفة ذلك . لكن الواضح ان الرقم (9000) المبالغ
فيه يتفق مع طبيعة الاساطير والتواريخ الموهلة في
القدم ، التي كثيرا ما يداخلها الخلط والتزيد ، حتى
لو كانت قائمة في اصلها على حقائق من الواقع ..
كالذي نراه حتى في (توارينخا) المعاصرة .

الارجح عندنا اذن ان اسم (اطلس) قد كانوا
اطلقوه على اطلنطة نفسها اول مرة ، ثم انتقل الى
سلسلة الجبال الموازية لها ، او التي كانت ضمن
امبراطوريتها او حدودها كالذي نوهنا به قبل ، ومن
ثم انتقلت التسمية الى المحيط الاطلسي .

ومعنى (الاطلس) في عربيتنا الباقية : الاغبر
الى سواد . واصله فيما نعتقد : الاسود ، وهذا امله
المظلم ، من قولهم طلس البصر : ذهب ، واثله طلس
البصر او النجم : ذهب ضوءهما ، اي اظلما . ومثل
ذلك دلس ودمس ... (وقد ورد تأثيل هذه الالفاظ
وتجانس معانيها في موضوع « دخيل ام انيسل » في
مكان آخر من هذا العدد من « اللسان العربي ») .

ويبدو ان تلك الارض انما سميت بالاطلس كناية
عن خصبها على غرار تسمية العراق « ارض السواد » .
وانذي يرجح ذلك ويؤيد ان الاقدمين كانوا
يطلقون السواد على الارض المخصبة لشدة خضرتها
هو ان قدامى المصريين ايضا كانوا يطلقون نفس الاسم
على بلادهم .

ومعلوم ان العرب كثيرا ما كانوا يذكرون بعض
الالوان مكان بعض على المجاز او الاستعارة ، ومن ذلك
اطلاق السواد على خضرة الزروع بوجه عام حتى صار
قولهم « سواد البلدة » يعني ما حولها من الريف
والقرى (1) .

فاسم قارتنا المفقودة اذن هو (اطلس) على ما
يبدو لنا من تسلسل تطور الكلمة ، ثم اطلقت على

الجبال المغربية الموازية لها ، او الداخلة ضمن منطقتها
على الارجح ، او المعينة لحدودها الجنوبية . وقد
سموها الاجانب اطلنطس (Atlantic) ، ثم سموها
المحيط الاطلسي (Atlantis) نسبة اليها ، ثم هم عادوا
الى القارة فسموها اطلنطيقية (Atlantica) نسبة الى
هذا المحيط ، الذي حسبوها غرقت فيه .

كان الاغريق يسمون الثور tauros او اللاتين
يسمونونه taurus) وهو اسمه العربي الواضح . حتى
زيادة السين في آخر الاسم سبق ان ائناها في العربية
(في عدد سابق من « اللسان العربي » وفي كتابنا
« مغامرات لفوية ») . وكان القومان - الاغريق
واللاتين - كلاهما يطلقان الاسم على جبال طوروس .
وربما كان ان الذين بدؤوا هذه التسمية قوما اقدم كثيرا
من اللاتين والاغريق ، اي قوما كانوا يتكلمون العربية ،
او كانوا يتكلمون لغة اقرب الى العربية من الاغريقية
التي تدل الملابس اللغوية على انها هي الاخرى كانت
في عهدها الاولى اقرب الى العربية .

فمن اجل هذا وامثاله من القرائن يسعنا القول ،
انه لا يستبعد ان يكون هذا شان الذين اطلقوا اسم
(اطلس) على الارض التي التهمها البحر المتوسط ،
بمعنى الارض السوداء .

ولو اتسع بنا الوقت ومصادر البحث لاتينا
بالكثير من التسميات الاوربية القديمة التي تتأثر في
العربية . ولعل لنا عودة الى تفصيل ذلك اذا تيسرت
لنا الفرصة ذات حين . ويكفي الان ان نقول مثلاً
ان اسم قرطبة Corduba باللاتينية) الذي
اظة (قرية طيبة) اي البلدة الطيبة (2) ، كما سماها
بناتها الكنعانيون (الفينيقيون) (3) .. وكما يقول
الباحثون .. يذكرونا باسم (ثيباي Thebae) الذي كان
الاغريق يطلقونه على مدينة (طيبة) في مصر العليا ،
وعلى مدينة ثانية في (بويوتية Boiotia) اسماها
قدموس الكنعاني ، وعلى مدينة ثالثة في (ساليبة

(1) من امثلة خلط العرب الالوان بعضها ببعض تسميتهم الاسود اخضر - على العكس مما تقدم - في
مثل قولهم « اخضر شاربه » اي اسود ، واصل المعنى نبت . كذلك قولهم « القبة الخضراء » اي
الزرقاء ، و « زرقاء المنايا » اي سودها . والبغداديون يقولون ان الخوخ مثلاً « ازرق » اي اخضر ،
فج لما ينضج .

(2) جاء في الآية : « بلدة طيبة ورب غفور » مما قد يدل على ان هذا التعبير كان مالوفا ومستحباً عند
العرب ، ومن ثم سموا به قرطبة ، وغيرها ايضا فيما نظن .

(3) يراجع فصل لنا في المصدرين المذكورين عن تسمية « فنيقية » .

فيثيوتيس (Thesalia Phthiotis) ، وعلى بلدة رابعة في (ميسية Mysia) وهي التي دمرها أخيل .

وان كان بعض هذه المدن حديثا كنعانيا كتلك التي بناها قدموس في بويوتية فلعل (طيبة) مصر وبعض الاخريات اقدم عهدا من ذلك بأحقاب كثيرة ، ولعلها معاصرة لقارة اطلس .

ولولا خشيتنا الاغراق لقلنا ان بلاد (التيبت Tibet) في احضان هملابة ايضا قد تكون من هذه المجموعة الاعربية ولاسيما اذا كان الاسم يعني في لغتهم قديما او ما زال يعني الطيبة او الحسنة ، او ما الى ذلك . فان صح هذا كان لنا ان نستنتج ان فريقا من العرب سموا التيبب بالطيبة ربما في نفس الحقبة

التي سمي فيها فريق آخر منهم ذلك الربع الفريق (اطلس) .

ولنزد الامر غرابة وتطلبا للتأمل وانعام النظر فنقول لعل اسم (تايوان) (I) - اي جزيرة فرموزة كما سماها البرتغاليون الفاتحون - ايضا من هذه الفئة فهو قريب من اسم (تيبب) ولاسيما اننا سمعنا من احد الصينيين ان اسمها يعني الارض او الجزيرة الجميلة !

فمن من قرائنا الكرام تتاح له الفرصة لمعاونتنا في التحقق من هذه وتلك ؟

(1) ان الحروف B و W و V .. كثيرا ما يحل بعضها محل بعض في مختلف اللغات . وفي الفارسية ينطق الواو باء في بعض الالفاظ مثل كواب وكاو : بقرة . لهذا تنطق تايوان في الفارسية مثلا : Tayban و Tayvan .